زيتون

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة
السنة الثالثة | 1 نيسان 2016

العدد
128

تنظيم الدولة يجند النساء استخباراتيا

www.facebook.com/ZaitonMagazine | zaiton.mag@gmail.com | www.zaitonmag.com

تسقط زنوبيا ويحيا التدمريون

صدى الانتظار 10

البئر 11

شركاء في النقد والتنظير والسرقة 15

اجتماعات في سراقب لترميم مجلس الشورى ومجلس الأعيان والهيئة السياسية

زيتون

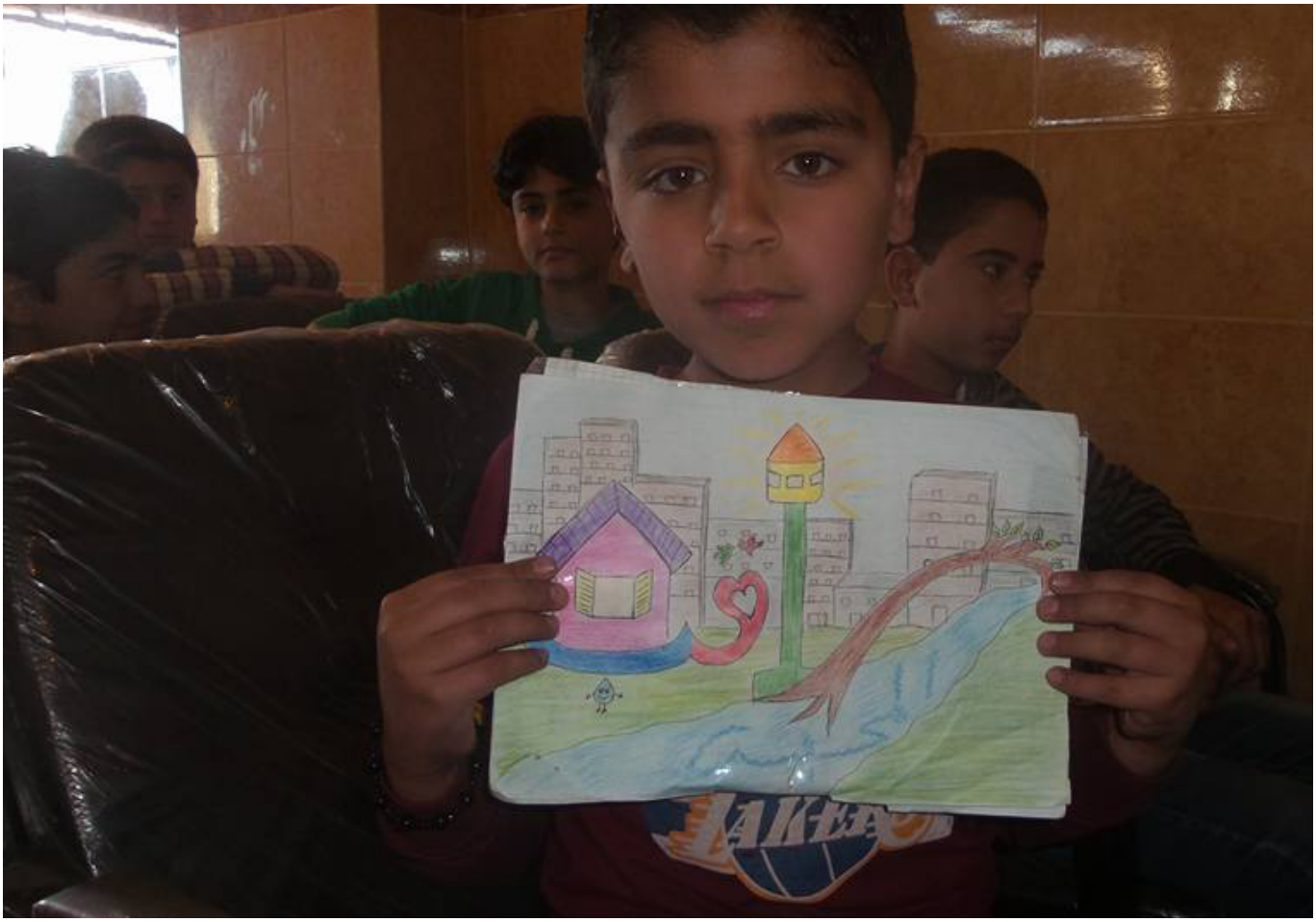

عقد اجتماع عام في مدينة سراقب بريف إدلب، أمس الجمعة ، ضم أعضاء ما يعرف بـ "مجلس الأعيان" و"مجلس الشورى" مع وفد الأهالي لمناقشة الأوضاع العامة في المدينة.

وافتتحت الجلسة بقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء وتفقد لأعضاء مجلس الأعيان، الذين غاب نصفهم، وطالب الحضور بإقالة المجلس بشكل كامل، إلا أن أغلبية الحضور صوتوا لترميم المجلس بإدخال أعضاء جدد إليه.

وقال مراسل زيتون أنه تم ترشيح 6 أعضاء لمجلسي الشورى والأعيان، حيث فاز بمقاعد مجلس الشورى كل من: محمد شكيب الخالد 49 صوتاً، أحمد أصلان 25 صوتاً، عبد الرزاق الخطيب 22 صوتاً.

وعن مجلس الأعيان جاء في المركز الأول خالد درويش بمجموع 92 صوتاً، تلاه زياد صطوف 88 صوتاً، ومن ثم رضا هلال 84 صوتاً.

وعين بعدها خالد درويش رئيساً لمجلس الأعيان وزياد صطوف نائب رئيس مجلس الأعيان، في حين تم ترميم مجلس الشورى بعضو واحد هو محمد شكيب الخالد.

كما تم انتخاب الهيئة السياسية في سراقب اليوم السبت من تسعة أشخاص.

وقال ياسر الصوفي أحد الأعضاء المنتخبين للهيئة لزيتون: «مهمة الهيئة انتخاب مندوب أو أكثر لتمثيل سراقب في الهيئة السياسية لمحافظة ادلب التي ستشكل «وفد تفاوضي لمعارضة الداخل» في حال حدوث أية عملية تفاوض مع معارضة الداخل من قبل الأطراف الدولية».

وكان قد عقد اجتماعاً سابقاً في سراقب حضره محافظ إدلب الحرة وبعض السياسيين الذين طلبوا مشاركة سياسية منتخبة لمدينة سراقب وريفها لينخرطوا مع سياسيين آخرين في الشمال السوري وترشيح أشخاص من كل المناطق المحررة لتمثيل معارضة الداخل خارجياً.

من سياق منفصل نظم منتدى بوابة إدلب، اليوم السبت، فعالية عامة في مدينة سراقب بنشاط مميز حيث جمع حشداً من أطفال المدينة ومدارسها بمسابقة لحفظة القرآن الكريم ومسابقة بفني الرسم والخط.

وتشكلت لجان للمسابقة بحضور عدد جيد من الأطفال حيث كان هناك حضور مميز لمؤسسة الإحسان الخيرية، التي وزعت على الحضور هدايا، فيما قدم راديو ألوان بدوره دعماً نقدياً للفائزين الثلاثة الأوائل بمقدار عشرة آلاف ليرة سورية لكل طفل.

الهدنة في حلب بين مرحب ومعارض والمدنيون هم الرابح الأكبر

زيتون

منذ بدء الهدنة في يوم 27 شباط 2016 في سوريا، لم يعد جزء كبير من السوريين يستيقظون على أصوات البراميل، أو على أصوات انفجارات الصواريخ التي تلقيها الطائرات الحربية، وباتوا اليوم يعيشون أياماً شبه هادئة، بسبب توقف النظام عن استخدام أدوات إجرامه وتوقفه عن قصف المدنيين في مدينة حلب، التزاماً بالهدنة، إلا من بعض الخروقات التي يقوم بها بين الحين والأخر؟

الهدنة التي كان لها مؤيدون كونها ستحمل وقفاً للقصف والمجازر اليومية، كان لها أيضا معارضون بسبب ضبابية المناطق التي ستدرج بالهدنة، وبسبب استثناء جبهة النصرة منها، ما سيكون حجةً لقصف مناطق مدنية كون النصرة منتشرة بجميع المناطق المحررة، وهناك من حذر منها كي لا تكون باباً من أجل فرض المصالحات «الوطنية» التي هي «أشبه بالاستسلام والرضوخ» لحكم نظام بشار الأسد، وعودة خمس سنوات للوراء بحسب وصفهم.

الناشط الإعلامي «ماهر أبو الوليد»، أكد أن النظام لم يلتزم بالهدنة بحجة وجود النصرة، ولا يزال يقصف ريف حلب الشمالي، ومناطق أخرى بريف ادلب وريف دمشق، وقال أبو الوليد: «أنا ضد الهدنة كونها استثنت جبهة النصرة وأبقتها كحجة لقصف محتمل كما أنها لا تشمل كامل الأراضي السورية، لا أنكر أن نسبة 90٪ من الشعب مرتاح في الهدنة، لكن سقط خلال هذه الهدنة عدة شهداء، وكل شهيد يرتقي في القصف أثنائها، دمه في رقبة كل من وقع ورضي بها».

وأضاف أبو الوليد «الهدنة لعبة دولية روسية، والنظام في دمشق هو المستفيد الوحيد منها، فهو يقوم بترتيب أوراقه ويحشد قواته كلها ضد تنظيم الدولة، ليحقق انتصارات، ويظهر للعالم أنه الوحيد الذي يحارب الإرهاب، وهذا ما حصل مؤخراً بتدمر، وبمجرد الانتهاء من تنظيم الدولة، سيحول قوته كلها إضافة للدعم الدولي، ضد الثوار الذين لا يزالون مختلفين ولا يتلقون أي دعم جدي على عكس قوات النظام والقوات الكردية».

لكن ما ارتاح الحلبي من قصف الطائرات حتى تعرض لقصف قد يكون أشرس فلقد شهدت الليرة السورية انهياراً كبيراً في سعر الصرف أمام الدولار في كامل الأراضي السورية ومنها حلب، حيث وصل سعر الصرف الى 520 ليرة لكل دولار، ما أدى لارتفاع مخيف بأسعار المواد الغذائية، وأثر على حياة السكان البسطاء في المدينة، قبل أن تكتمل فرحتهم بوقف القصف.

وتحدث الناشط الإعلامي عمر عرب لزيتون عن أحوال المدنيين في المدينة قائلاً: «أصبح أهالي مدينة حلب بعد دخول أول أيام الهدنة في حذر شديد، نظراً لعدم ثقتهم بالنظام، ولكن بعد مرور أكثر من يوم تخلوا عن حذرهم وعادوا الى حياتهم واعمالهم، بدون صوت البراميل التي اعتادوا عليها».

وأكمل عرب «أصبحت الأسواق مزدحمة بشكل كبير من قبل المدنيين وأقبل الناس على شراء الحاجيات وعادت الحياة بشكل ما، ولكن كان لهم الغلاء بالمرصاد، بسبب ارتفاع أسعار صرف الدولار أمام الليرة السورية، ولكن مقارنة بالقصف السابق، يمكن أن نقول إن حلب تعيش أيام نادرة لمن عاش بها خلال الخمسة سنوات الماضية من القصف والمجازر اليومية التي صنفت فيها حلب أخطر مدينة في العالم».

المقاتل بصفوف الجيش الحر أبو إبراهيم، أكد أنه مؤيد للهدنة الى حدٍ كبير، مؤكداً أنه يتوجب على الجيش الحر الرد على خروقات قوات النظام للهدنة، كي لا يظن أن الثوار سيلتزمون بها في حين يستطيع أن يخرقها بين الفينة والأخرى، وتحديث أبو إبراهيم لزيتون قائلاً: «نعم أنا مع الهدنة كي نرتب أوراقنا، ومن أجل رص صفوفنا، ويجب علينا أن نعمل على ذلك في سبيل الثورة، كما أني مع الهدنة لأني بدأت أشاهد الراحة على وجوه الناس في مدينة حلب، وبدأت أرى الأطفال يلعبون بشيء من الاطمئنان من أن تأتي طائرات النظام وتقصفهم، وتقصف مدارسهم، وهو حق يجب أن يكون دائم لهؤلاء الأطفال».

ويضيف أبو إبراهيم بحزن: «بدل أن يقوم الثوار بالعمل على تجهيز أنفسهم ورص صفوفهم كما فعل النظام، تراهم اليوم مختلفين ومقتتلين فيما بينهم، فهذا الفصيل يعتقل من عناصر الفصيل الاخر، وهذه الكتيبة تعلن حرباً على الأخرى، وأمثلةً كثيرةً لا تعد ولا تحصى عن حالنا السيء وفشلنا وفرقتنا المقيتة»

وكانت جهات حقوقية قد وثقت انخفاض في عدد القتلى وتراجع حدة القصف والعنف في شهر واحد خلال الهدنة الحالية، فقد بلغ عدد القتلى في الشهر الثالث من العام الماضي 2328 شخصاً في حين بلغ عددهم في نفس الشهر من العام الحالي 646 شخصا في سوريا.

من يقف وراء الفلتان الأمني وعمليات الاغتيال في درعا

حازم أحمد

مع تواتر الأحداث في الجنوب السوري وزيادة الفوضى الأمنية وفقر المناطق المحررة في درعا إلى العنصر الضابط، باتت عمليات السرقة والاختطاف والقتل تزداد يوماً بعد يوم، وقد أسفرت هذه الظاهرة إلى كثرة حالات الاغتيال سواء مدنيين كانوا أو قادة في الجيش الحر، وأصبحت تشكل هاجساً حقيقيا في الأهالي والقادة العسكريين.

ومع استمرار شبح الموت الغادر الذي يطال الجميع وبدون أي أمل لنهاية قريبة، وسط عجز الجهات العسكرية والأمنية عن السيطرة على الوضع، وصل المجتمع الى مستوى خطير وغير مسبوق من التفكك والخوف.

وفي حديث مع «مهند الحوراني» عضو المكتب الإعلامي لجيش اليرموك قال ل «زيتون» : جيش اليرموك قدم الكثير من الشهداء سواء في المعارك أو جراء عمليات الاغتيال، ففي يوم الأربعاء 2-10-2013 اغتيل مجموعة من قادة جيش اليرموك من بينهم القائد الميداني «محمد موسى الزعبي أبو خلدون» الملقب «بالخوصة» إضافة الى قادة آخرين، كما قام مجهولون باغتيال القيادي في جيش اليرموك "أوفى القاعد"، بإطلاق النار على سيارته بشكل مباشر بين صيدا وكحيل شرقي درعا، وتابع الحوراني «كما تعرض قادة آخرين في جيش اليرموك لمحاولات اغتيال أيضا ك «أبو كنان» القائد الحالي و»أبو فادي» رئيس المكتب السياسي لجيش اليرموك و»عماد أبو زريق» القائد الميداني لمجموعات الاقتحام الذي تم استهدافه ومعه أطفاله.

وأضاف «الحوراني» : إن الفلتان الأمني جاء نتيجة غياب العنصر الأمني في الريف المحرر، فمناطقنا تفتقر إلى المخافر والدوريات التي يمكن أن تحد كثيراً من عمليات الاغتيال، كما أن القبضة الأمنية لدار العدل تفتقر إلى الدعم اللوجستي من عناصر وقوى تنفيذية التي تحتاجها من الفصائل الموجودة».

الناشط «أبو صهيب» سمى احدى المجموعات وحملها مسؤولية جزء من الفوضى وقال: هناك مجموعة تعرف ب «الأكتف» في مدينة طفس، قاموا باحتجاز مدنيين وعوائل وبعد محاولات من فصائل الحر لتحرير هؤلاء المدنيين بالتفاوض رفضت «الأكتف» تسليمهم، فقامت فصائل الحر بإصدار بيان بمحاربة بؤر الفساد والعمل على قطع أوصال ظاهرة الاغتيال.

للقنيطرة نصيبها من حوادث الاغتيال حيث أقدمت سيارتين مفخختين باستهداف مقر المالية التابع لجبهة ثوار سوريا في قرية «العشة» والذي أسفر عن مقتل القائد العام لجبهة ثوار سوريا في الجنوب «أبو حمزة النعيمي» ومعه مجموعة من القادة العسكريين.

كما شهدت بلدة انخل في ريف درعا الغربي حالة من التوتر بعد اشتباكات دارت بين الجيش الحر وجماعة أنصار الأقصى، اثر اتهام الجماعة بمبايعة تنظيم الدولة وإقدامها على ارتكاب عدة عمليات سطو واغتيال في البلدة، وكانت المواجهات قد بدأت بين الطرفين بعد إقدام الجماعة المذكورة على اغتيال رئيس المجلس المحلي في بلدة انخل «بشار الدوخي» مع شقيقه ومدنيين اثنين كانوا برفقتهما، فعملت فصائل الجيش الحر على اجتثاث الجماعة ومهاجمة مقراتهم في البلدة، وانتهت المواجهات بمقتل متزعم جماعة أنصار الأقصى مالك الفروان المنشق عن جهة النصرة قبل عام مع آخرين وفرار بعضهم.

وفي منتصف كانون الأول الماضي اغتيل الشيخ «أسامة اليتيم» بإطلاق النار على سيارته، إلى جانب أخويه ومرافقيه أحمد سعيد وإبراهيم شريف صوايا.

لم تتوقف الفوضي عند حدود عمليات الاغتيال، بل توسعت لتنتشر جرائم أخرى كالاختطاف والسرقة. وكان من الضروري أن يتم التوحد بين فصائل الحر للتصدي للمجموعات العابثة.

«أبو عبد الرحمن» من أهالي درعا تحدث ل «زيتون» عن معاناته من جراء الفلتان الأمني: «أثناء عملي كسائق شاحنة لنقل البضائع تم إيقافي من قبل أشخاص ملثمون ومسلحون، وقاموا باختطافي واقتيادي الى مكان مجهول، وطلبوا مبلغ مالي ولم يتركوني حتى دفع المبلغ كاملاً.

وليس ببعيد تم اختطاف رئيس مجلس محافظة درعا الحرة الدكتور يعقوب العمار على يد مجهولين اعترضوا سيارته على الطريق الواصل بين بلدتي العجمي و المزيريب بالقرب من «معصرة الشمري»، حيث أجبروه على النزول من سيارته، ليتم تحرّيره من سجون حركة المثنى الإسلامية، في 17 كانون الثاني الجاري.

«جورج سمارة» ناشط إعلامي قال بهذا الصدد : إن الفوضى الأمنية دفعت الكثير من ضعفاء النفوس ممن باعوا أنفسهم مقابل المال ، بالقيام بعمليات السرقة والاختطاف، ومنهم من أطلق على السرقة اسم الغنائم، لكن فصائل الحر بدأت مؤخراً بالتحرك للقضاء على هذه الجرائم المرتكبة، ولاسيما بعد قيام بعض فصائل بالتوحد.

وقد ذكر ناشطين أن عمليات الاغتيال والاختطاف وغيرها قد خفت بشكل ملحوظ بعد انسحاب حركة المثنى من المنطقة الشرقية لريف درعا.

وفي رؤيته للحل يقول قائد لواء درع الجنوب «فيصل الفاضل»: «إن قيام الجيش الحر بالتوحد سيوجد سلطة مركزية تمسك بزمام الأمور وتوقف الفلتان والذي سببه التشرذم والخلافات، مؤكداً على العمل وبجدية متناهية على إيجاد قوة متماسكة ومدعومة بجيش قوي ولو اضطرت في بادئ الأمر بالضرب بيد من حديد حتى نضمن سلامة وأمان المناطق المحررة.

في كل بلدة سورية "قاشوش" وماجد "قاشوش" معرة حرمة

علي رحال

أفنى الشباب السوري حياته في سبيل الثورة السورية ومازال يقدم ويضحي مع دخول الثورة عامها السادس والكثير منهم جدد العهد بالتضحية والبذل حتى تنتصر هذه الثورة أو يهلك دونها.

ترك جامعته في مدينة اللاذقية والتحق بركب الثورة السورية مع رفاقه الذين انتفضوا غضباً وخرجوا تلبية لدعوة الحق في دحر الطغاة.

«ماجد» شاب سوري من ريف ادلب من بلدة معرة حرمة من مواليد 1989درس اللغة العربية في جامعة البعث ووصل إلى سنته الدراسية الأخيرة، التي لم يكملها بل تخلى عن مستقبله الدراسي من أجل الانخراط في الثورة وتقديم ما يستطيع في سبيل مدها بالحياة والقوة.

أطلق عليه أهالي بلدته لقب «القاشوش» وذلك لطيبة صوته وعذوبته وابتداعه أجمل الكلمات والأهازيج التي كانت تصدح عالياً في كل يوم جمعة، برفقة الآلاف من المتظاهرين الرافضين لحكم الأسد والمطالبين بسقوطه.

استمر ماجد الشمعة في حراكه السلمي حتى فترة طويلة من عمر الثورة، حيث كان له الفضل في تنظيم العديد من المظاهرات على مستوى قرى الريف الجنوبي لإدلب، وشكل مع رفاقه تجمعات شبابية كانت تعمل على تنظيم الفعاليات والمظاهرات والمحافل الثورية.

بعد انخفاض زخم المظاهرات السلمية وتطبع الثورة بالطابع العسكري المسلح لم يعد للتظاهر تلك البهجة التي كانت عليه سابقاً، التفت ماجد إلى الجانب الإنساني وانضم لمجلس بلدته كعضوٍ في لجان الإغاثة.

عمل مع المجالس المحلية على مستوى المحافظة وكان عمله تطوعاً لخدمة المحتاجين من فقراء البلدة، إضافة إلى عمله كبائع ألبسةٍ في دكانه الصغير الذي افتتحه لتحصيل لقمة عيشه بعد سوء الأوضاع المعيشية على كل الشرائح.

استمر في هذا العمل لفترة طويلة، ليلتفت بعدها إلى حياته الشخصية ويحقق حلم والديه مثله كمثل كل شباب الثورة الذين امتنعوا عن الزواج بسبب انخراطهم في الثورة.

يقول في حديثه الخاص:

« عملت في كل المجالات الثورية لخدمة المحتاجين، ولكن من أجمل الأعمال التي أحببتها كانت المظاهرات والهتافات في التجمعات الثورية في بداية الثورة، كل رفاقي عزفوا عن الزواج ومتابعة حياتهم حتى اسقاط النظام ولكن وللأسف طالت المدة وساءت الأوضاع فلم نجد إلا أن نتابع حياتنا كغيرنا من الشبان»

استمر في عمله كبائع ألبسة حتى فترة تزايد الصراع بين الفصائل و التناحر الكبير بينها، ليخرج إلى تركيا ويبحث عن عملٍ يساعده على المضي قدماً في إكمال حياته مغيره من النشطاء.

عمل في مجال التصوير لدى أحد المشاريع الثورية التي تعمل على تقديم التعليم المجاني للطلاب عن طريق البرامج التعليمية المصورة والحديثة، ليستمر بذلك في خدمة أبناء الثورة السورية ويقدم ما يستطيع في سبيل إنجاح الثورة وايصالها إلى الهدف المنشود.

يستمر اليوم في عمله المناهض للنظام، حسه الفكاهي جعله مقصد الكثيرين للاستماع إلى تقليده الهزلي لبشار الأسد، يقدم اليوم فيديوهاتٍ وحلقاتٍ على أحد القنوات الثورية التي تعرض النظام السوري وممثليه بطريقةٍ هزلية تدخل السرور على قلب صغار الثورة وكبارها.

يتابع ماجد في حديثه:

«أطلق عليّ لقب القاشوش وهو لقبٌ أعتز به وفي نهاية الأمر أنا ناشط ومعنى كلمة ناشط في الثورة السورية هو خادم لكل محتاج ومساعد له، فنحن في النهاية خرجنا من أجل المحتاجين وأقسمنا أننا سنستمر في هذا الطريق حتى نهايته أو نهايتنا»

يذكر أن ماجد من عائلةٍ ثوريةٍ بالكامل، اخوته وأقاربه ورفاقه انخرطوا بالثورة منذ البداية حيث اختار اخوته الجانب العسكري كمقاتلين واستشهد أخاه ياسر في المعارك ضد النظام في مدينة معرة النعمان أثناء تحريرها، وبقية اخوته يقاتلون إلى اليوم لدحر الظلم عن أهلهم واخوانهم.

تشابه قصة ماجد قصة الكثير من شبان الثورة الذين تخلوا عن كل ما يملكون في سبيل الثورة السورية، بل وقدموا التضحيات الكثيرة في سبيل إخوانهم وفقدوا أعز الناس على قلوبهم ومازالوا مستمرين بهذه العزيمة.

تجدد الثورة وثوارها البيعة من جديد في ذكرى الثورة وتنتفض المظاهرات السلمية في كل مكان أملاً بتصحيح المسار وتذكير الناس بروح المظاهرات القديم وتعيد للشباب عزيمة اسقاط النظام الماضية لتدحر الطغاة والمعتدين على أرضها بالرغم من تحالفاتهم وكثرتهم..

تنظيم الدولة الإسلامية يجنّد النساء استخباراتياً للابلاغ عمن يعمل ضده

حازم حسون

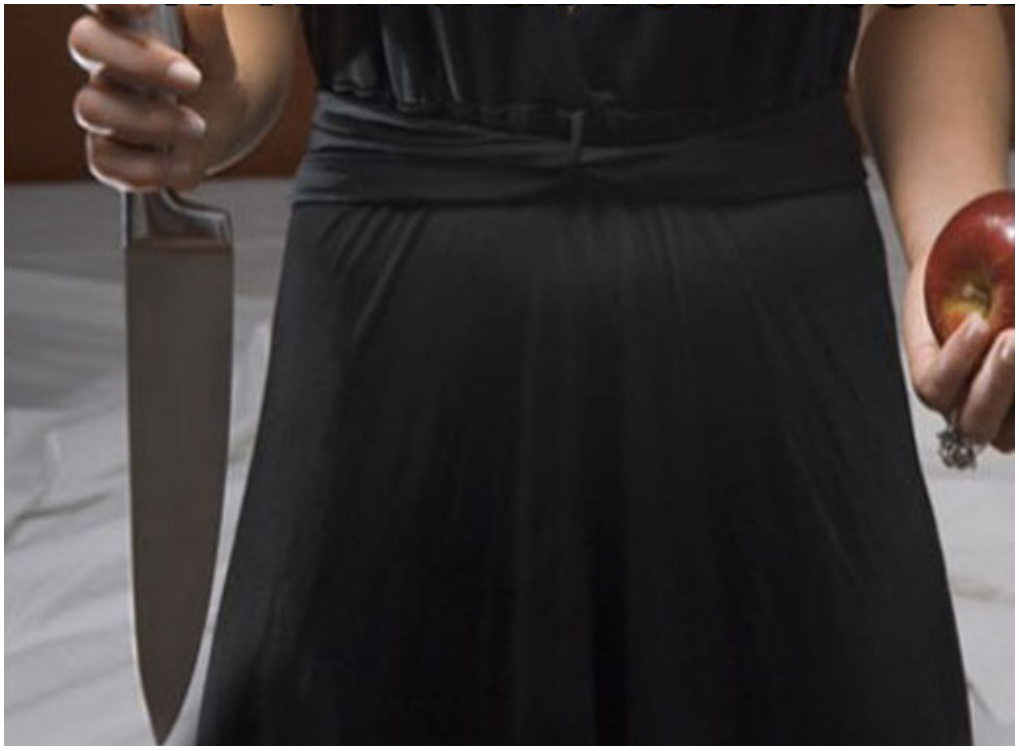

سجّل عام 2013 ظهور تنظيم الدولة الإسلامية وسط الكثير من الأسئلة حول كيفية تنظيمه وتحضيره للظهور العلني. تجنيد المراهقين وحتى الأطفال، التوجه الديني المتطرف، جهاد النكاح وغيرها من الأساليب اعتمدها التنظيم ليكسب مؤيدين يميلون إلى توجهاته أو حتى يعجبون بطريقة تفكيره، لكن على الجانب الآخر كان يقوم بتجنيد النساء لمهام أخرى كجزء من جهازه الاستخباراتي الضخم الذي يعترف العالم بقوته.

المهام التقليدية ..تتغير

باستثناء المهام الأساسية التي يفرضها التنظيم على النساء كالإشراف على «مقاتلي المستقبل» وتربيتهم، بالإضافة إلى الالتزام بالمنزل واللباس الشرعي، وظف نساء لمهام مساعدة.

حيث تقول تقارير حول التنظيم أنه جند النساء في كثير من المناسبات لمساعدة مقاتلي التنظيم على مراقبة الأخلاق العامة في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم كـ«كتيبة الخنساء».

كما وظف نساء تابعين للتنظيم من أجل تجنيد نساء أخريات لأغراض مختلفة منها « جهاد النكاح» وبالتالي يحاول استقطاب نساء أوروبيات أو أجنبيات بالعموم.

يقول الباحث في شؤون التنظيمات المتطرفة طلال الخلف «باتت مهمة تجنيد نساء أجنبيات أساسية لدى التنظيم إذ يعتمد عليهن في التحركات بين الدول باعتبار أنهن يمتلكن جوازات سفر أقل قيداً، بالإضافة لكونهن قادرات على استخدام التكنولوجيا بذكاء ويستطعن الاستقلال نوعاً ما عن أهاليهن على عكس النساء العربيات».

الخلايا النائمة ... سر استخبارات داعش

بحسب ما يوضح الكثير من المحللين في مجال التنظيمات المتطرفة فإن العديد من السنوات السابقة عمل فيها التنظيم لتجنيد خلايا نائمة مهمتها الاندماج بالمجتمع – كالمخابرات السورية – وجمع معلومات عن المدن والناس وتحركاتهم.

يقول هاشم الشملي، وهو خبير في الشؤون الأمنية والتنظيمات المتطرّفة، لقناة DW الألمانية أنّ تلك الخلايا النائمة تحاول اختراق قواعد البيانات الاستخباراتية التابعة للشرطة المحلية، وجمع مواد عن عناصر الشرطة وعن نقاط التفتيش الأمني ونقل تلك المعلومات إلى قيادة التنظيم، تمهيدا لغزو محتمل لتلك المدن من قبل عناصره.

ورغم كون الحديث عن الاستخبارات الداعشية أقوى على صعيد العراق من سوريا إلا أن المهام متشابهة إذ يسعى أيضاً عناصر التنظيم المجندون استخباراتياً إلى تجنيد مؤيدين للتنظيم أو على الأقل ضمان تأييدهم لفكره.

إحذروا الأحاديث العميقة مع الغرباء

إلا أن سياسة التنظيم الاستخباراتية فرضت عليه الاعتماد على النساء العربيات أيضاً في مهمة التعرف على الأشخاص الذين يعملون ضده.

تقول أم خالد، 34 عاماً، ربة منزل مقيمة من حلب «معروف عن إحدى الجارات حضورها لدروس دينية والتزامها بمنهج محدد، لكن أفكارها بدأت بالتطرف أكثر فأكثر خلال السنة الأخيرة، علماً أنها تتنقل بين منازل الناس».

تردف أم خالد « الكثير من الإشاعات تناقلناها عن كون هذه السيدة تقوم بالإبلاغ عن أشخاص يعملون ضد التنظيم ليقوم التنظيم بالقبض عليهم».

ورغم كون الروايات قليلة عن كون التنظيم يستخدم المرأة لإلقاء القبض على معارضيه أو من يعمل ضده إلا أن سيدات كثر تحدثن في ذات السياق ووجهن رسالة بضرورة عدم تداول أحاديث عميقة مع الغرباء تفضي لكشف أسرار خاصة يعتمد عليها التنظيم للإيقاع بأشخاص يعملون ضد سياسته.

الناشط السياسي عبد اللّه الشامي يقول «القصة منتشرة حتى خارج سوريا، واستغلال جلسات النساء وأحاديثهن ليس جديداً على التنظيم وخصوصاً أن بعض النساء يتحدثن باستفاضة مثلاً عن أعمال أزواجهن أو عن آرائهن وآراء أقربائهن وبالتالي يصبحون أهدافاً لتنظيم الدولة».

حالات اغتيال عديدة قام بها التنظيم لناشطين وصحفيين أو قادة عسكريين كانوا يعملون ضده، في حين أنه كان خلفها عمل استخباراتي متقن – كما يقول البعض – لكن أيضاً قد يكون خلف كشف هؤلاء الأشخاص «حديث نسائي صغير».

في درعا: حرب "مجنونة".. تخنُق آلاف المدنيين

زيتون

تفرض الفصائل المتقاتلة في منطقة حوض اليرموك بريف درعا الغربي حصاراً خانقاً على الأهالي والنازحين في المنطقة، التي تعد من أهم حواضن النزوح في جنوب سوريا، بالإضافة لأهميتها الكبيرة لجهة التصاقها من حدودي سوريا مع الجولان المحتل والأردن.

الحرب المندلعة منذ أشهر بين كل من "جيش الفتح" بنسخته الجنوبية المتمثلة بشكل رئيسي بكل من "جبهة النصرة" و"أحرار الشام" وكذلك بعض فصائل الجيش الحر، من جهة، و"لواء شهداء اليرموك" المتهم بالتبعية لتنظيم الدولة من جهة أخرى، ألقت بظلالها على المدنيين الذين تجاوز عددهم وفق أخر التقديرات 60 ألف نسمة في المنقطة.

يندر دخول أي من المواد الغذائية والسلع التموينية ومواد المحروقات للمنطقة المحاصرة منذ أشهر بحواجز كانت تضعها جبهة النصرة على أطراف "حوض اليرموك"، لا سيما في محيط كل من بلدتي تسيل وسحم الجولان غرب درعا، وفق ما يقول السكان. في حين بات الحل الوحيد المتاح للمدنيين هو اللجوء إلى ما توفر لديهم من مواد بدأت بالنفاذ، بالتزامن مع اشتداد وتيرة المواجهات بين الأطراف المتقاتلة.

أبو خالد م. نازح إلى ريف درعا الغربي من ريف دمشق، يقول لـ"زيتون": "منذ أكثر من ثمانية أشهر ونحن نتعرض للتجويع من قبل هذه الفصائل التي لا تخاف اللّه، وأنا أقول أنها لا تخاف اللّه وهي تدعي ذلك لكونها لو كانت بالفعل تخاف رب العالمين لكانت رأفت بأحوال آلاف الأطفال والنساء في المنطقة".

ويضيف "عشرات القذائف تتساقط في المنطقة يومياً. هاون، مدفعية، لا نعلم من أين!! الطرف الأول يقصف الثاني والثاني يفعل نفس الشيء، عشرات الضحايا سقطوا بين قتيل وجريح، غالبيتهم من الأطفال. المنطقة محاصرة لا يستطيع المرء إدخال الغذاء ولا الدواء، كما أن حياتك مهددة بخطر الموت قنصاً أو قصفاً إذا ما فكرت بمجرد المحاولة لاجتياز أي بلدة في المنطقة إلى أخرى..".

في المقابل، يقول أبو نادر، وهو مزارع في المنطقة إن الفصائل والحرب التي أشعلتها في المنطقة تسببت في خسارة المزارعين ملايين الليرات السورية، بسبب عدم قدرتهم على تسويق محاصيلهم خارج المنطقة، ويفيد بأنه أتلف كميات كبيرة من محصولاته الزراعية بسبب إغلاق معابر المنطقة بفعل الاقتتال الدائر.

بدورها، تشكو أم سامر المقيمة في إحدى قرى "حوض اليرموك" سياسة الفصائل المحاصرة للمنطقة، والتي تمنع كما تقول دخول ما هو لا زم للمدنيين وليس للمسلحين، وتضيف: "خلصنا من بشار الأسد طلعلنا ألف بشار"، وتشير إلى أن ابنتها أصيبت بحالة إسعافية طارئة قبل يومين، لكنها لم تتمكن من أخذها إلى أي مشفى تتوفر فيه العلاجات اللازمة، نتيجة الحرب في المنطقة التي تلاحق فيها فصائل الجيش الحر مع جبهة النصرة وأحرار الشام خلايا "داعش" كما تؤكد الأخيرة.

ناهد أيضاً، إحدى القاطنات في المنطقة تروي أن "سياسة تجويع تمارس ضد الأهالي، الخضروات لا تدخل، الخبز بالقطارة، والماء ثمنه مرتفع، والكهرباء مقطوعة منذ زمن طويل ولا يراها الناس أبداً"، وتضيف "إما أن يرحمونا وإما أن يقتلونا ويريحوننا من هذه الحياة، أنا أسألهم: من أين نطعم أطفالنا إذا جاعوا؟ أليس لديهم أطفال هم؟ أم أن أولادهم غير أولادنا.. حسبنا اللّه ونعم الوكيل بس".

يشار إلى أن منطقة "حوض اليرموك" تشمل قرى عدة في القطاع الغربي والجنوبي الغربي من محافظة درعا، وتضم كلاً من قرى وبلدات: "جملة، نافعة، سجم الجولان، حيط، الشجرة، القصير، معرية، كويا، بيت آره، عابدين، الشبرق، عين ذكر، المسريتية، صيصون" وبعض التجمعات السكانية الأخرى.

خلف كل شهيد في سوريا أيتام.. من يعيلهم؟

ابراهيم الاسماعيل

على مدى خمس سنوات، خلفت هذه الحرب أعداداً كبيرة من الشهداء الذين تركوا خلفهم أطفالاً ونساءً دون معيل أو مساعد، وبسبب صعوبة الأوضاع وازديادها سوءاً كان من الضروري إيجاد الجهات المساعدة لإعالة هذه الأسر.

ظهرت الجمعيات والمنظمات الخيرية بشكل كبير وكانت الشريحة المستهدفة بشكل دائم عوائل الشهداء وأطفالهم، من كفالات لليتيم ومساعدات مالية لزوجة الشهيد ومساعدات غذائية للأسرة، عملت هذه المساعدات على تيسير أمور الكثير من العائلات في المناطق المحررة.

لكن استمرار رحى الحرب في سوريا ظلت ترفد الشهداء وأيتامهم بأعداد جديدة، ما شكل ضغطاً على منظمات العمل الاغاثي، وجعل من العمل على تغطية الحالة السورية أمراً مستحيلاً.

كفالات الأيتام ودورها الفاعل في مساعدة أسر الشهداء

تقدم الجمعيات الخيرية والمنظمات الإغاثية مبالغ مالية شهرية للأيتام يطلق عليها «كفالات الأيتام» والتي يتم منحها لأبناء الشهداء المرشحين من قبل المجالس المحلية أو التنسيقيات الثورية المعنية بالخدمات الإنسانية، وتوزع هذه الكفالات بشكل شهري على أبناء الشهداء بالإضافة الى تحديث هذه القوائم لمواكبة الأعداد الجديدة من الأيتام.

استطاعت هذه الكفالات تقديم الإمكانية لاستمرار حياة هذه الأسر، وتأمين احتياجات هؤلاء الأطفال لحمايتهم من الضياع والتشرد.

أم محمد «35» عاماً في حديثها عن الكفالات المقدمة لها قالت: «استشهد زوجي في قصف طال البلدة من الطيران الحربي، كان المعيل الوحيد لي ولأولادي الثلاثة (محمد – غالية – احمد)، كان يعمل في مجال المحاماة، قدمت لنا جمعية ساند الخيرية كفالة لأولادي لكنها لم تستمر سوى مدة قصيرة ومن ثم انقطعت ولم اعرف السبب واليوم تقدم لي جمعية أخرى كفالات مالية أذهب لإحضارها من مدينة كفرنبل».

هل يحصل جميع الأيتام على الكفالة؟

تتفاوت الإجابات بتفاوت الأوضاع من قبل هذه الأسر، فالبعض منهم يأخذ كفالات مستمرة، لكن قسماً منهم لم يحصل عليها أبداً.

أبو أحمد المسؤول عن عملية الإحصاء في المجلس المحلي لقرية الشيخ مصطفى في ريف ادلب، أفاد لزيتون أن عوائل الشهداء كلها مكفولة من قبل منظمة اغاثية واحدة أو عدة منظمات مشتركة، دورنا يكون في التدقيق على الأسماء الواردة في القوائم المقدمة للكفالة، حرصاً على وصول الكفالات الى جميع الأيتام ولكي لا يحرم أحد ويحصل الأخر على كفالتين.

أم صدام «32 عاماً» استشهد زوجها في ريف حلب في القصف بالطيران المروحي نزحت الى تركيا مع عائلتها برفقة ابنها الصغير «صدام» قالت:

« بعد وفاة زوجي بقيت في مدينة حلب ولم أحصل على كفالة لابني الوحيد بسبب عدم وجود اسم لصدام في الجمعيات المعنية، وبعد خروجي الى تركيا مازلت أبحث عن جمعيات تقدم كفالات لأولاد الشهداء والى الآن لم استطع تأمين كفالة له»

تختلف نوعية الكفالة المقدمة لأولاد الشهداء فبعضها يكفل الطعام والشراب واللباس والتعليم و الصحة، وتبلغ قيمة هذه الكفالة شهريا «90 دولار أمريكي»، أما النوع الآخر فهو كفالات الطعام والشراب فقط وتبلغ «50 دولار أمريكي» بحسب المعلومات التي أفادنا بها السيد «أبو أنس» مسؤول قسم الأيتام في مؤسسة «اعمار الشام الإنسانية» والتي تقدم هذه الكفالات بنوعيها في الغوطة الشرقية المحاصرة.

وأضاف السيد أبو أنس عند سؤالنا له عن مدة الكفالة: «تعتبر هذه الكفالات كرواتب شهرية تقدم الى أبناء الشهداء الذين لم يتم كفالتهم من قبل منظمات أخرى، استطعنا تأمين دفع هذه الكفالات لمستحقيها منذ سنتين الى الآن، وسنستمر في تقديمها لأنها كفالات مستمرة وليست لمرة واحدة كما يحدث في بعض المنظمات الأخرى».

ماذا يقدم لليتيم غير الكفالات المالية والمساعدات؟

تعمل المجالس المحلية والمنظمات الاغاثية على تقديم المساعدات المعيشية كالمواد الغذائية واللباس الشتوي والصيفي لأولاد الشهداء وأسرهم بشكل دوري، حيث تقوم المجالس المحلية في المدن والبلدات في المناطق المحررة بتوزيع هذه المساعدات عند ورودها أو تزويدهم بها من قبل منظمات اغاثية عربية وأجنبية، أيضاً تمتاز هذه المساعدات بعدم انتظامها وتقطعها أحياناً.

ابراهيم زيدان ناشط اعلامي واغاثي من ريف ادلب حدثنا عن المساعدات المقدمة وآلية التوزيع: «يتم تقديم المساعدات كسلال اغاثية للمجالس المحلية في البلدات والتي بدورها تقوم بتوزيع هذه السلال على عوائل الشهداء في المرتبة الأولى والعوائل الفقيرة أيضاً والتي تم إعداد سجل خاص بها في كل قرية أو مدينة، بالإضافة الى المساعدات المالية المنفصلة عن كفالة اليتيم والتي يتم تقديمها من متبرعين من الخارج السوري».

تبقى المأساة السورية أكبر من أن تحتويها أية مساعدات إنسانية أو اغاثية كما لا يزال السوري ينتظر حلم السلام والحرية التي مات من اجلها أكثر من نصف مليون.

نحو مستقبل سوري جديد

شعار للتعليم والكادر التتعليمي في مدارس السوريينه باضنة

عمر محمد

التعليم مهنة إنسانية وأخلاقية عظيمة، لكن نظام البعث الحاكم في سوريا، جعلها مطية لتوجيه الأطفال، من خلال طلائع البعث ثم شبيبة الثورة، فاتحاد الطلبة، حتى جاءت الثورة السورية التي غيرت كل هذه المعالم الفاسدة في تأسيس الأجيال السورية، واليوم وبعد مضي أكثر من خمسة أعوام من عمر الثورة، ورغم وجود بعض الأمور الخاطئة التي تؤخر مسير العمل التربوي والتعليمي إلا أن الأمور تسير في مسار جيد.

«محمد» طفل في الخامسة من عمره، ولد في سوريا بمدينة اللاذقية، كمئات آلاف الأطفال السوريين نزح مع والديه وإخوته إلى تركيا، أقام معهم في مدينة أضنا التركية، في حي يدعى «يانـي بـي محلسي»، وبحلول العام الدراسي الجديد 2015-2016، لم يستطع والده إدخاله المدرسة بسبب عدم وجود شواغر، ومضت الأيام حتى افتتحت مدرسة جديدة للسوريين في الحي الذي يقطنه، فذهب مع والديه للتسجيل فيها وكان قد مضى نحو شهر على افتتاح تلك المدرسة، أحس محمد بالسعادة كأي طفل سوري حرم من حقه في التعليم بعد النزوح، فأنطلق بروحه الثورية المشاغبة، يعبث هنا وهناك، في مدرسة «الشهيد توران».

أيضاً «علي» طفل سوري في الخامسة من عمره ولد في مدينة حلب، ونزح مع عائلته إلى تركيا، ويقيم حالياً في مدينة أضنا، وهو في مدرسة «الشهيد توران».

كذلك «مصطفى» طفل في الخامسة من عمره، من محافظة حلب، كان يقيم بريف حلب الشمالي مع عائلته، حين تعرضت بلدته لهجوم من تنظيم «الدولة الإسلامية» الذي أهال البلدة بالقذائف، وسقطت إحداها على منزلهم، فارتقى جده وجدته شهداء وأصيبت يده، والتي بترت بعد نقله إلى المشفى الميداني، حيث سأل الأطباء ذويه «من الأهم الطفل أم يده؟» كما أخبرتنا والدته، وعلى غرار محمد وعلي، أنتقل مع والديه إلى مدينة أضنا التركية، وهو الآن في مدرسة «الشهيد توران».

دخل الأطفال الثلاثة في حياتهم الدراسية «الجديدة» فكان «محمد» كثير الحركة، وكان «علي» متعلقاً بوالديه جداً، وكان «مصطفى» انطوائي بسبب الضرر النفسي الذي لحق به، ومن «حسن حظهم» أن الكادر الإداري والتدريسي، في مدرسة «الشهيد توران» متميز، بحكم معرفتهم أن هؤلاء الأطفال هم مستقبل سوريا.

وبدأت الأمور تسير بمنهج ثابت، حيث يجتمع الطلاب عند الساعة الثانية ونصف من عصر كل يوم، في أرتال بحسب شعبهم، ويرددون شعارهم «اللّه ربي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، ومحمد «ص» نبيي».

وتعلموا أول دروسهم «أنا مواطن سوري، بلدي الأم سورية، عاصمتها دمشق، لغتي العربية، مهما طال الزمن، سنعود يوماً إلى سورية»

بدأ يوم «محمد» بكثير من الشغب -عنفوان الطفولة- والركض والإنتقال من مقعد لآخر، ومع وجوده بصف الأستاذ «محمد بهاء الدين» خريج «كلية الشريعة» والذي تم تعينه مدرس للصف الأول الابتدائي، وكان «محمد» أصغر رفاقه سناً، وتأخر تسجيله حتى فاته عدد من الدروس أهمها، حروف اللغة العربية، التي أنهاها رفاقه وبدؤوا بالدروس التالية، وكون «محمد» لم يكن يفهم شيء في مدرسته، أضطر أن يدرس في المنزل، وتكون المدرسة للعب وتفريغ طاقاته، فأرسله أستاذه إلى المرشدة الاجتماعية، والتي طلبت بدورها منه أن يعتذر قامت بنقل «محمد» إلى شعبة جديدة، وكانت المعلمة «ياسمين» التي أنهكت نفسها بابتداع أشياء جديدة جعلت طلابها يتعلقون بها، وبطريقتها المثالية للتدريس، من حيث تشجيع طلابها، وتعبها وجهدها، وبعض الأمور البسيطة التي قدمتها لهم، ولكن كان أثرها كبيراً في نفوسهم، أدى لتفوق «محمد» ورفاقه دراسياً، وأسهم ذلك في جعلهم يحبون مدرستهم «الشهيد توران».

تأخر تسجيل «علي» في المدرسة، حيث أنه لحق بباقي رفاقه في الفصل الدراسي الثاني، ولكنه كان شديد التعلق بوالديه، فبعد أن يقوم والده بتوصيله إلى مدرسته، ويلحقه بشعبته في الاجتماع اليومي، يصرخ ويبكي منادياً والده، ألا يتركه ويغادر.

لاحظ مدير المدرسة الأستاذ «محمد» هذا الأمر، فكان علاجه حكيم، حيث طلب من والده مغادرة المدرسة، واستدعى «علي» إلى المنبر، وأخبر جميع الطلاب، أن زميلهم سيتلو عليهم بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وفعلاً توقف «علي» عن البكاء، وروى الأحاديث عبر «المذياع» لرفاقه، ودخلوا جميعاً إلى صفوفهم.

وقد عبر والد «علي» عن شكره لتصرف المدير الذي كان درساً جميلاً استفاد منه ولده.

«مصطفى» كان يومه الأول مختلف نوعاً ما، فقد تجنب بعض الأطفال اللعب معه، حتى استطاعت المدرسة «ياسمين» أن تؤلف بينهم، وتقربهم من بعضهم، فأصبح رفاقه يساعدونه في دروسه، ويكتبون عنه، تعويضاً عن فقدانه لذراعه اليمنى، وأصبح اليوم مشاركاً مثل رفاقه، مجداً في دروسه.

الأطفال الثلاثة أصبحوا اليوم أشد تعلقاً بمَدرَستهم ومُدَرِّسَتِهم، واستطاعت المرشدة الاجتماعية «حنان» بخبرتها، أن تساعدهم ورفاقهم على تجاوز بعض المشاكل، رغم الضغط الكبير الذي يعاني منه الكادر التدريسي.

معظم أهالي الأطفال مستبشرون بكادر هذه المدرسة، مديرها، كادرها الإداري والتدريسي، تعاونهم، إحساسهم بالمسؤولية، الحرص على الأطفال، والعمل على النهوض بمجتمع سوري راقي.

صدى الانتظار

غادة باكير

على شرفة ليلها تطيل الحلم والانتظار لم تمل الأمل رغم مرور الدقائق وكأنها عقود من الوجع والغياب تشعر بأنفاسه تسري في شرايين هذا الليل فتمنحها الدفء والراحة.

تمد يداً مرتعشة لتلمس بطنها الذي يغفو داخله جنينها وتحاول أن تستمد من دقات قلبه الصغير شحنة إضافية من القوة وتخبره بأن لا يقلق فوالده سيعود قريباً فهو لم يخذلها مرة لقد كان دائماً يفي بوعوده لها وقد أخبرها بأنه لن يتخلى عنها مهما حدث وكان دائماً كذلك قريباً من روحها يساندها ويمسح دمعتها ويشاركها بسمتها لذلك هي واثقة من عودته.

تستعيد تفاصيل حبهما منذ تفتح براعمه الأولى وتتذكر حلاوة قبلاتهما المسروقة تحت شجرة الزيتون في منزلها بعيداً عن أعين أهلها وتحن لتلك الطرقات التي مشت فيها معه وهو يرافقها لمدرستها في ذهابها وإيابها.

وكلما كبرا يوماً كبر حبهما دهراً ونمت أحلامهما كعريشة ياسمين تنثر أريجها في فضاء قلبيهما، تنتفض مذعورة من اغفاءتها حين تتلون تلك الياسمينة بلون دمه ويرتجف قلبها كفراشة أثقل جناحيها برد الوحدة.

كم مرة بقيت مستيقظة طوال الليل تراقبه نائماً مطمئناً وهي تعجز عن النوم خشية أن يدخل الأمن ويعتقله ولا تتمكن من إيقاظه ومساعدته على الهروب من المنزل وحين يستيقظ ويراها على هذه الحالة يضمها مبتسماً لصدره ليهمس قلبه لها لا تخافي.

لم يكن صباح سراقب اليوم كغيره من الأيام السابقة فقد استيقظت من نومها مذعورة وحين لم تجده بقربها شعرت بضيق شديد ليس من عادته أن يغادر فراشها قبل أن يوقظها بقبلته وابتسامته ويحتسي معها قهوتها الصباحية ثم يذهب لعمله صعدت إلى سطح منزلها كان هواء آذار ثقيلا ومرتابا من مجهول قادم تلفتت حولها في الشوارع الصامتة التي تنبض خوفا ووحشة عادت لغرفتها قلقة ثم سمعت صوتا قويا اهتزت له جدران منزلها فهرعت للخارج فتلاقت عينيها مع عيون شاب يركض مسرعا وهو يصرخ يا ناس لقد اقتحم الجيش سراقب يا ناس يا...

وغاب صوته عن أذنيها حين ارتفعت دقات قلبها لتطغى على صوت القنابل التي تقذفها الدبابات

وتوالت الأيام والشهور لتلتهم بقايا أملها في عودته وقد أصبح جنينها الأن طفلاً في عامه الثالث تطاردها نظراته التي تطالبها بالإيفاء بوعدها له حين كان جنيناً وتحولت حروفه الصغيرة حين يبكي وينادي بابا إلى سياط تجلد صبرها الذي نفذ.

كم مرة سألت نفسها ترى ماذا فعلوا به؟ كم عذبوه؟ هل مازال على قيد الحياة أم أنه استشهد كغيره تحت التعذيب؟

لم تمحو الأحداث التالية التي مرت عليها رغم قسوتها تاريخ ذاك اليوم الثالث والعشرون من شهر آذار لعام 2012 ورغم كل ما حل بسراقب من قتل وتدمير وتشريد وفقدان للأهل والأقارب والأصدقاء إلا أن وجع اعتقال زوجها هو المؤلم أكثر في نظرها

تضم طفلها لصدرها ودموعها تنهمر فوق ليل شعره الناعم وتشعر بقلبها يخبو كضوء شمعة تترنح جراء تلقيها صفعات قاسية من يد الشوق والمرض.

إن كان هو عاجزاً عن الإيفاء بعهده والعودة إليها فلماذا لا ترحل إليه وتلتقيه بعيداً عن صخب الموت اليومي الذي تحياه؟

أغمضت عينيها بهدوء حاملة معها آخر ابتسامة من ثغر طفلها ورحلت تاركة خلفها ذاك العصفور على شرفة الصبح يرقب أحلامها ويغفر لها خطيئتها، ضفرت شعرها الطويل وارتدت فرحة اللقاء وشاحاً قرمزياً من الحنين والشوق وحثت خطاها صوب نجمة الصبح حيث كان ينتظرها بلهفة.

البئر

أسعد شلاش

خديجة امرأة قروية، لاتجيد القراءة والكتابة، ولأن الإحساس بالظلم والاضطهاد لا يحتاج إلى فزلكات وثقافات، فقد كانت تحس بالغبن من كل الرجال حولها، وأولهم زوجها، لكن فطرتها السليمة لم تكن تسمح لها بالتعرض له أمام الآخرين بشكل مباشر، وغالباً ما كانت تلجأ إلى التعميم وتتحدث عن غطرسة الرجال وظلمهم واضطهادهم للنساء.

طفلتها البكر «حلا» ذات الأربع سنين كانت أنيقة ونظيفة ومرتبة بشكل ملحوظ عن أطفال تلك القرية الفقيرة، والأهم أن «حلا» مهذبة كانت ذات نباهة وذكاء يفوق أترابها من الأطفال بما فيهم الذكور، تحفظ بعض الأناشيد، ترددها دون خجل، واثقةً بنفسها، ترحب بالضيوف كما الكبار، تروي الكثير من القصص بتفاصيل دقيقة، وأجمل ما فيها أنها كانت تبادرك بالتحية أينما التقتك.

بدت حالتها مثيرةً لكل من حولها من الرجال وبعض النساء بما فيهم أقرباؤها، وراح البعض يدفع الأمور إلى الأمام، ويرى «حلا» صبية ناضجة ومداركها ووعيها يتفوق على الكثير من الرجال ويردف بعدها، حينها من الصعب السيطرة عليها وقد تسبب الكثير من المتاعب لأهلها ولعشيرتها وكل من حولها الذين راحوا يفكرون بطريقة تمكنهم من ترويضها من الآن لكي لا تسبب لهم أي متاعب مستقبلاً، إلى أن نصحهم أحد رجال القرية أنهم إذا كانوا فعلاً جادين بترويض «حلا» من الآن، فما عليهم إلا أن يربطوها بحبل، ثم ينزلونها في بئر ليس المهم أن يكون به ماء أم لا، المهم أن يتم إنزالها إلى عمق معين، بحيث يغشاها الظلام وتشعر بالخوف الشديد، وحينها لا بد أن يحد الخوف من (فتاحتها)، وتصبح مسكينة وهادئة وتبقى على هذه الحالة حتى بعد أن تشب وتكبر وتصبح شابة.

بعد كثير من الأخذ والرد بين والدها وإخوته وأبناء العمومة، أقر أغلبية الرجال على تنفيذ الخطة، مع مخالفة البعض القليل ووقوف الأقل على الحياد ومنهم والدها، الذي حتى وإن لم يكن راضياً في قرارة نفسه، لكن الأعراف والعادات لا تخوله الاعتراض على من يكبره سناً من الأخوة والأقارب، إضافة إلى كونه ضعيف الشخصية إلى حد ما وغير صاحب قرار.

النساء المقربات أغلبهن ضد الفكرة لكن عادات القبيلة لا تكترث لآراء النساء.

خديجة والدتها رفضت الفكرة وبشدة جملةً وتفصيلاً، ولكي تجعل زوجها يقف إلى جانبها ويرفض الفكرة، هددته بأنها ستلقي بنفسها في ذات البئر، وقام أحد أعمام حلا بالطلب منها أن تصعد معه على دراجته النارية، مدعياً أنه ذاهب إلى السمان وأنه سيشتري لها ما تريد، ولأن إحساس الأم يبقى الأصدق فقد حاولت أن تمنع حلا من الذهاب مع عمها، لكنه زجرها بقوة وكذلك زوجها الذي أمسك بيدها وجرها بقوة إلى داخل الغرفة، حيث سقطت أرضاً وأجهشت ببكاء مر، وزوجها يقف بالباب مضطرباً ومتوتراً.

هنالك عند البئر كان رهطاً من الرجال بالانتظار، حزم الرجال حلا من تحت إبطيها بحبل أعد مسبقا لهذه الغاية، أدركت حلا أن شيئاً ما يدبر لها، بدأت بالصراخ والبكاء، استنجدت بأمها .. بوالدها .. بأعمامها، لكن ما من مجيب، كانت قد غدت أسفل فوهة البئر بقليل، ازداد بكاؤها وصراخها أكثر، أنزلها الرجال في البئر أكثر، كانت حرقة بكائها وقوة صراخها تتناسب طرداً مع اقترابها من ماء البئر، لكنها توقفت فجأةً ولم يعد يسمع لها أي صوت، ظن الرجال أن حلا

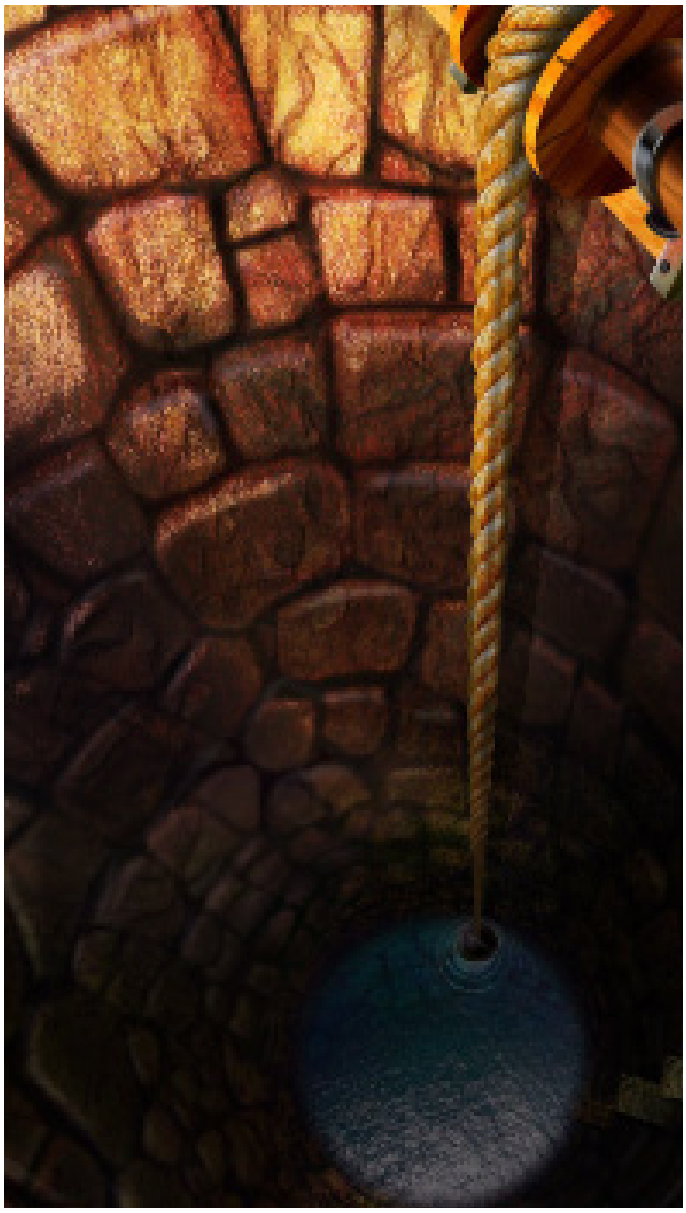

قد فارقت الدنيا وراح يصرخ بعضهم ببعض أن أخروجها بسرعة.

أمسك أحدهم بيدها وأوقفها جانب البئر كانت دموعها لا تزال تغادر عيونها بغزارةٍ، لكن بصمت ودون أدنى صوت، كلمها عمها، لم تجب، أعاد السؤال، لكن لا جواب.

قال أحد الرجال أنه من الطبيعي أن تفقد حلا النطق من الخوف، لكنها حالةً مؤقتةً وستزول بعد أيام، كان والد حلا لايزال يروح ويجيء أمام المنزل متوتراً، عندما أتاه بها رهط الرجال أمسك بحلا من يدها حاول تهدئتها، حدقت بعينيه بنظرة تحمل قهر كل نساء الأرض من رجالها من يوم أن غادرن رحم أمهاتهن إلى يوم أن يعدن إلى رحم الأرض، بعدها شاحت عن وجهه وأمالت برأسها للأسفل نحو الأرض، حاول جاهداً أن يكلمها أن ينظر إليها، أن يُفلح في أن تنظر إليه، لكنها كانت دائما تشيح بنظرها عنه وعن رهط الرجال، وما إن دخلت حتى أسرعت إلى حضن أمها ودموعها في ازدياد، ضمتها أمها وراحت تقبلها، امتزجت دموعهما وتاريخ قهر يجدد ألم العصور، طلب زوجها أن تدثرها لتغفو قليلاً ويغادرها خوفها حينها ستنسى ما جرى لها، لم تجب أمها بكلمة، لكنها نظرت إليه بنظرةٍ حملتها ذات الايحاء الذي أوحت به عيون طفلتها، دثرتها، غفت حلا وجلست أمها جانبها تبكي قهر رجال القبائل للنساء.

"اللّه يساعدكم يااللعزّابيةّ.."

أسامة عيسى

"اللّه يساعدكم يااللعزّابيةّ.. ساعة ومحبَس بألفين وميّة"

بهذه الأهزوجة التي تمثل جزءاً من تراث المنطقة الجنوبية من سوريا، اختصرت الحاجة "أم علاء" اللاجئة من ريف درعا إلى الأردن، مشكلة آلاف الشباب مع ما بات يسجل من ارتفاع مهر الزواج الذي يشترطه ذوي الفتاة لمن يتقدم لطلب يدها، في التوازي مع استمرار ارتفاع منسوب حالات الطلاق المسجلة بين صفوف اللاجئين السوريين في المملكة التي يحط على أراضيها قرابة مليون وخمسمائة ألف سوري منذ العام 2011م.

وفي حين كانت الإشكالية العامة لمسألة الزواج ذات بُعد مختلف حتى العام 2014م بالنسبة للاجئين السوريين في الأراضي الأردنية، والذين ينقسمون في توزعهم إلى فئتين، الأولى تعيش ضمن مخيمات نظامية، والأخرى في مناطق سكانية ضمن المدن والبلدات، حيث كان الزواج بين السوريين أنفسهم شيء مستطاع، مع انخفاض واضح في المهور التي كانت تسجل بالليرة السورية وليس بالدينار الأردني أو الدولار الأمريكي كما هو الحال عليه الآن.

ناريمان م.، 23 عاماً من درعا، تقول إن ثلاث شبان تقدموا لها حيث تقطن وعائلتها في مدينة إربد شمال الأردن، إلا أن المهر الذي اشترطه والدها لها وهو 5000 دينار أردني (قرابة 7000 دولار أمريكي) كان سبباً في تركهم الأمر، واللجوء إلى الزواج من فتاة في مخيم الزعتري، لكون الأهالي هناء "بسطاء" كما تقول ولا يضعون الشروط نفسها كما هو الحال خارج المخيم.

وتضيف "أنا لا أريد المال ولا أريد لا 5 آلاف ولا مليون دينار، أريد أن أنستر كما كل البنات التي تتزوج، لكن هذه المشكلة ليست مشكلتي وحدي، فغالبية الأهالي الذين يعيشون في خارج المخيمات يرفعون المهر دون مبرر، ولا أحد يعلم لماذا، والسبب كما هو معروف عنوسة بناتهم وحرمانهن من أبسط الحقوق.."

سميح الناجي، وهو سوري مقيم في مدنية الرمثا الأردنية (الحدودية مع سوريا) يقول من جانبه، إن حالات ارتفاع المهر خارج مخيمات اللجوء في الأردن أصبحت "عادة دارجة"، وهو يبرر ذلك من وجهة نظره بالقول: "يا أخي الأمر الآن ليس كما في السابق، جرب الناس تخفيض المهور فأصبح مصير البنات لعبة في يد شبان مراهقين أغلبهم يلجئون للزواج في سن مبكرة، وأخرون منهم يستهترون بانخفاض المهر للتنكيل ببنات الناس ومعاملتها وكأنها ليست إنسانة".

ويضيف "هذا الأمر مسؤوليتي أنا كأب ومسؤولية كل من له بنت في مثل هذا الوضع الخطير الذي نعيشه. أنا زوجت ابنتين لي أحدهما طلقلها زوجها وفر عائداً لسوريا بعد ست أيام من الزواج، والأخرى اللّه أعلم كيف عايشة..! وأنا لا أستطيع فعل شيء كونه هناك أولاد لها، وزوجها يعايرها بأن كل مهرها 100 دينار، لكوني لم أضع عليه مهراً غالياً حينها".

"أبو خالد" إمام وشيخ دين من سوريا، يقيم في العاصمة الأردنية عمان، يقول: "لا شيء يبرر أبداً من الوجهة الشرعية لجوء الأهالي لهذه العادة الغير حميدة، وهذا الأمر مخالف للشرع، ويخالف ما أوصى به النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم"، ويردف "أنا أعترف بأنها مشكلة فعلية ويومياً تمر علي عدة حالات شبيهة وشكاوى من شبان سوريين يريدون الزواج لكنهم لا يستطيعون إليه سبيلاً، وهذا الأمر يؤثم الأهل، وبالذات الأب، فغلاء المهر لا علاقة له بردع الشاب الراغب بالزواج، إنما أمام ذوي الفتاة فرصة للسؤال عنه فترة كافية، وإن كان من ذوي السلوك الحسن يعطى، وإلا هذا الأمر قسمة ونصيب من رب العالمين".

وتخالف أم معتز مسلماني ما يقوله الشيخ "أبو خالد"، وترى أن هذا "الحكم الشرعي لا يمنع من رفع مهر الفتاة بالتزامن مع تغير الأوضاع التي بات السوريون يعيشونها من سيء إلى أسوأ"، وتضيف "ابنتي طلقها زوجها بعد 24 ساعة زواج، لأنه استهتر بنا وبأننا لم نطلب منه شيئاً، كان الطلاق عليه هين لأن لا رادع له في ذلك، وأنا لا أقول أن المال هو الرادع، فالمال وسخ الحياة، لكنه له تأثير ولو قلّ.. على الأقل في ضمان حقوق الفتاة في مثل هذا الزمن الصعب".

من جهتها، تقول الحاجة "أم علاء" التي تقطن في مدينة إربد الأردنية أيضاً إن عشرات الشبات باتوا غير قادرين فعلياً على الزواج، لأنهم لا يجدون العمل وكذلك لأن المهور أصبحت غالية، وتضيف "في الوقت السابق، قبل نحو سنتين كانت الكثير من العائلات توافق على تزويج بناتها دون طلب مهر، وكانوا يعفون الشباب حتى من المنزل أو الأثاث أو الذهب أو حتى العرس (حفل الزفاف)، لأن الوضع الآن صعب للغاية، أما بعد ذلك فما الذي جرى لا نعرف، أصبح الحال صعباً جداً للشباب أنفسهم الذين أصبح وضعهم مبكي.."

وتختم الحاجة "أم علاء" مُطلِقةً أهزوجة من أهازيج الجنوب السوري التراثية "اللّه يساعدكم يااللعزّابيةّ.. مِحبَس وسَاعة بألفين وميّة"، وعند سؤالها عن مدلول تلك الأنشودة، قالت إنها تختصر مشكلة آلاف الشبان السوريين اللاجئين خارج مخيمات الأردن في الوقت الحالي، والذين يراودهم التفكير بشريكة الحياة.

هل هي عودة الفنيقيون لأرضهم ؟

أحمد فرج

مع ازدياد حدة القصف في سوريا عام 2013 بلغت ذروة موجات اللجوء الى أوربا لاسيما بعد فتح طرقات التهريب الغير شرعي من دول مصر وليبيا وتركيا واليونان، كما شكل فتح باب اللجوء من دول أوربا دافعاً إضافياً للسوريين للهجرة إليها، وحاول اللاجئون الوصول الى الدول التي تقدم خدمات أفضل وأسرع فيما يتعلق بأوراق الإقامة واللجوء كألمانيا والسويد.

أحفاد الفينيقيين الذين خاضوا البحر على خطى أجدادهم لكن بفارق في الحالة يتجاوز فارق الزمن وبصورةٍ معكوسةٍ تماماً، تشردوا على حدود الدول الغربية وتمرغوا في حياة الكامبات وانتظار الأوراق الرسمية وصراع البصمة في الدول الشرقية، بدأت أولى طلائعهم تعود الى أرضهم تاركين خلفهم حلمهم المكسور ومؤثرين أرض أبائهم بموتها وخوفها على رفاه الغربة وذلها.

محمد ابن الأربعين عاماً، خرج مع عائلته من الريف الادلبي بعد سنتين من عمر الثورة، حين اشتدت وتيرة القصف الى الجزائر، لينطلق من هناك برحلة شاقة الى اسبانية، ومن ثم الى الدانمرك، بينما رحلت عائلته الى تركيا بانتظار أوراق لم الشمل، لكن محمد بعد أن حصل على الإقامة بعد عام فضل العودة الى بلدته في الريف الادلبي، متخلياً عما يموت من أجله السوريين كل يوم، بكثير من الحسرة يحكي محمد ل «زيتون» عن تجربته في الهجرة الى أوربا:

«بعد شهر من وصولي أدركت بأنني ارتكبت خطأ كبيراً، لم أستطع تحمل الوضع، لقد تعودنا نحن السوريون على العيش بكرامتنا، نعمل ونطعم أبنائنا، يصعب علينا أن نعيش على مساعدات الآخرين، لست في عمر يسمح لي بتعلم اللغة وليس لي القدرة على اكتسابها، أهم أسباب عودتي أنني لا أريد أن يعيش أطفالي هناك، فالتقاليد والعادات أصعب من احتملها وأتقبلها لأطفالي، ظللت كل فترة بقائي في أوربا أتساءل لم خرجت من الجزائر»

كما يذكر محمد من منطقة جبل الزاوية في شمال سوريا بأنه لا يرغب بأن تحضر عائلته الى أوربا, و أوضح قائلاً «سأعود أنا إليهم لأربي عائلتي هناك كما تربينا , لا أتخيل أبداً أن تعيش بناتي في واقع منحل كهذا ولا أرفض حتى ذهابهم الى مدارس تقوم بتدريس المناهج بهذه الإباحية والاختلاط المفرط بين الجنسين»

لكن تباين الثقافة والعادات الذي دفع بمحمد الى العودة ليس السبب الوحيد في عودة البعض، فصبحي سليمان وهو متزوج ولديه طفلين مازالا في سوريا بينما هو في هولندا لم يحصل على الإقامة بعد يقول:

«نتعرض لمعاملة سيئة فالسؤال الذي تواجهه دائماً من الهولنديين، هل سترجعون الى سوريا إن هدأت الأوضاع أم ستبقون هنا، أتساءل ما معنى هذا السؤال الأن؟ لقد قدمت طلباً بالعودة ثلاث مرات، كما أبغلت المحامي المتوكل بأوراقي أنني لا أرغب بالبقاء هنا، أريد العودة الى سوريا، وأخبرت المشرف على اللاجئين بذلك لكنهم قالوا أنني لا أستطيع العودة الى سوريا لعدم امتلاكي لجواز سفر، لجأت الى منظمة هيومن رايتس ووتش فأخبروني أنهم يستطيعون ايصالي الى الأردن، لكن لا يستطيعون أخذي الى تركيا، لا يمكنني الذهاب الى الأردن فأنا من الشمال السوري وأنا مطلوب للنظام، الحل الوحيد أن أصل الى تركيا رغم إغلاق الحدود التركية»

ويضيف صبحي: «لقد عشت ستة أشهر في أحد الكامبات في هولندا شعرت فيها أنني في سجن حقيقي، لم يقيد لي أحدٌ حريتي لكنني مقيد بكثير من القوانين، الأن أنا في ورطة حقيقية، إذ لا يمكنني السفر الى تركيا التي تشترط فيزا لدخولها، وليس لدي جواز سفر أصلاً، ومجبر على انتظار الإقامة حتى أحصل على جواز سفر بديل أعود به الى بلدي، هل أصبح السوري لا يملك حق رجوعه الى بلده؟».

بعد معاناة شديدة على الحدود التركية استطاع «خالد الخالد» الدخول بطريقة غير شرعية الى تركيا منذ ستة أشهر، ليستقر في اسطنبول هو وعائلته المكونة من شابين وطفلتين وزوجته، لقد طرق كل أبواب العمل الممكنة في اسطنبول، لكنه لم يوفق الى عمل، ورغم عمل أبنائه في أحد المعامل، إلا أن دخلهم لم يكن كافياً لمعيشتهم، يقول خالد: «مهما يكن الوضع في سوريا من قصف وموت فهو أرحم لي مما عشته في اسطنبول، لم اتمكن من تأمين عمل يسد معاشنا، وفي مدينة مثل اسطنبول يجب أن يعمل جميع أفراد الأسرة حتى يستطيعون البقاء فيها»

في طريق عودته الى سوريا لم تسمح لهم إدارة معبر باب الهوى من العبور ليقضي يومه مع عائلته في إحدى الحدائق في مدينة أنطاكيا ومن ثم ليتم نقلهم هو وأكثر من مئة سوري الى مبنى الأمنيات في المدينة ليقضوا ليلتهم هناك.

يؤكد خالد لزيتون أن عشرات العائلات تقطعت بهم السبل في أنطاكيا حين منعتهم السلطات التركية من الوصول الى الأراضي السورية وافترشوا على مدى ثلاث أيام الحدائق مع الأطفال والنساء.

أما عبد الرحمن عيد البريك فهو من اللاجئين الذين وصلوا الى هولندا منذ ستة أشهر لم يجدوا له مكانا في الكامبات فأقاموا لهم مخيمات تفتقر الى أساسيات الحياة العادية، وفي اتصال مع زيتون قال أريد أن أعود لم أتوقع أن تكون أوربا بهذا الشكل، لقد غرر بنا حين قيل لنا أن أوربا تضمن حق الإنسان وتحترمه، أشعر بأنني عالة على أهل هولندا وأشعر أحياناً بالعار لوجودي هنا».

يشتكي رفاق عبد الرحمن من وضعهم أيضاً فيشارك محمد عرموش في الحديث مؤكداً أن 57 يورو أسبوعياً لا يمكن أن تكفي أحد، وخاصة للمدخنين، وان اضطر الى شراء قطعة ثياب فقد يستدين ثمنها، من جهته يحيى الدريعي يقول أنه يرغب بالعمل لكن لا يسمح له إلا بعد أن ينتهي من تعلم اللغة التي قد تحتاج الى عام ونصف لإتقانها، وعليه الالتزام بالمدرسة وأي غياب يخصم من راتبه.

ربما لم تعد أوربا حلم الشعوب المقهورة وحامية الديمقراطيات، ولربما ستشجع الهدنة الحالية في سوريا وتراجع حدة العنف على عودة السوريين الذين باتوا على يقين أن جنتهم الوحيدة هي سوريا.

"تسقط زنوبيا ويعيش التدمريون"

محمد علاء

الحاج أحمد رجل بلغ من العمر 60 عاماً لم يخرج منذ ولادته من مدينة تدمر بريف حمص الشرقي، وعاش فيها حياته مع أبنائه الثلاثة وابنتيه وزوجته، وكان رافضاً لفكرة الخروج منها لولا مقتل اثنين من أبنائه بالقصف الروسي على منزله، قبل سيطرة النظام على المدينة بأيام.

بعد بدء هجوم قوات النظام المدعومة بمليشيات موالية، وبدعم جوي روسي مكثف، تخلى الحاج أحمد أخيراً عن بلده الغالية على قلبه تدمر، والتي حولتها الاشتباكات والقصف الى تدمر مدمرة ثانية، لكن بفعل الانسان وليس بفعل مرور الزمان كما حال مملكة زنوبيا التاريخية مثلما وصفها أبو الحاج أحمد.

يروي الحاج أحمد عن رحلته الطويلة من مدينة تدمر الى اعزاز: «خرجنا من مدينة تدمر ولا يوجد لنا طريق آخر سوى مناطق تنظيم الدولة الأخرى، والتي لا تقل سوءاً عن تدمر، وصلنا بعد رحلة طويلة الى محافظة دير الزور، فنصحنا البعض أن نذهب للرقة، والتي جلسنا في شوارعها يومين كاملين، دون أن يقدم لنا التنظيم أي عون يذكر، بينما لم يقصر معنا أهالي المدينة الكرماء، لكننا لم نجد مبيتاً فيه، وبقينا في شوارع المدينة نبحث عن بيت أو دكان أو مدرسة، فقد كانت ممتلئة وغير قادرة على استيعاب أحد آخر، كوننا تأخرنا بالخروج من المدينة».

وأضاف الحاج أحمد: «قررنا بعدها الذهاب لمحافظة حلب، وقيل لنا أنه يمكن منها الذهاب لتركيا من أجل متابعة علاج ابني الذي أصيب أيضاً بالقصف، ولعلّي أجد عمل أستطيع أن أعيل فيه عائلتي، ووصلنا الى بلدة مسكنة، قيل لنا أن التنظيم لا يسمح للمدنيين مغادرة أراضيه لمناطق الجيش الحر، والتقينا بشخص قال أنه قادر على تهريبنا ليلاً الى تركيا، مقابل مبلغ مالي ضخم، فوافقت مكرهاً واتفقنا على الخروج ليلاً، وفعلاً انطلقنا ليلاً ونزلنا بعد مسيرة ساعتين بسيارة، وأنزلنا أمام ساتر ترابي ضخم وخندق على أطراف مدينة قال لنا أنها جرابلس، وطلب منا أن نسرع ونتجاوز الساتر الترابي والخندق قبل أن يأتي حرس الحدود التركي أو عناصر التنظيم، وانطلقنا مسرعين وبدأنا نسير الى أن أشرقت الشمس وكنا قد وصلنا لقرية اسمها «قردلة وسطاني» قرب منبج، وإذا بنا لا نزال داخل الأراضي السورية، وكان ذلك الساتر والخندق قد أنشأه التنظيم بمحيط مدينة منبج».

ويكمل الحاج أحمد: «بعدها اتجهنا لمدينة الباب والتي منها سمح لنا التنظيم للقدوم الى مدينة اعزاز، وتم إيواء بناتي وزوجتي في مركز إيواء خاص بالنساء، ونمنا أنا وابني في مسجد دار الأيتام، وبقينا قرب المسجد يساعدنا أهل الخير والمنظمات، ولا زلت أحاول حتى الأن الوصول لتركيا دون جدوى، بسبب عجزنا أنا وابني وزوجتي على الإسراع والهرب من حرس الحدود، كما أني لا أملك المبلغ الكافي الذي يمكنني من الوصول بسلام بعد الدفع للمهربين، فقد خسرت جزءاً كبيراً مما أملكه في عملية الاحتيال التي تعرضت لها بمنبج».

الحاج أحمد وعائلته، هم جزء من آلاف العائلات التي تقطعت بها السبل في أصقاع الأرض، دون أن يلفت ما جرى لهم، الرأي العالمي المهتم بالآثار، والذي فرح باسترجاع جيش بشار الأسد لمدينة تدمر، فهذا يرحب والأخر يعبر عن فرحه، متناسين أن استرجاع البلد، كان ثمنه أرواح عشرات الأبرياء، الذين فقدوا أرواحهم بالقصف الجوي العنيف، إضافة لتشرد عشرات الآلاف دون أن يساعدهم أحد.

«كل العالم مشغول في حجر تدمر، فهو حجرٌ تاريخي، ولم يفكر أحدٌ بنا نحن أهالي تدمر، الحجر أصبح أغلى وأهم من البشر، كلهم مشغولون في زنوبيا ومملكتها، ونسوا أن هناك آلاف الأبرياء، تُصَب عليهم يومياً مئات الصواريخ والقذائف، لا أقول لك أننا كنا مسرورين عندما كان تنظيم الدولة يحكمنا، ولم نكن كذلك عندما كان جيش النظام الذي سلم المدينة منذ عام، ونحن لسنا مع أي طرف، فالطرفين ليسوا ملائكة، والحرب التي درات في تدمر هي حرب الشياطين»

ويضيف الحاج أحمد: «معركة تدمر الأخيرة كان الأبرياء هم الخاسر الأكبر فيها، فالتنظيم مطية النظام الذي يحاول كسب الرأي العالمي على حسابنا وليس على حساب التنظيم، ونحن الأن لم نعد قادرين على العودة لحكم النظام أبداً، وكُتب علينا التشرد حتى سقوط النظام وانتهاء دولة البغدادي، فالأول يعتبرنا ارهابين، وقام جنده بسرقة ما بقي من أملاكنا، والثاني يعتبرنا مولين الدبر وفارين من الزحف، ولا نعلم كيف سيرضى الطرفيين عنا».

وكان يعيش في مدينة تدمر حوالي 75 ألف نسمة، وصل منهم عُشرون ألفاً الى مناطق سيطرة الجيش الحر في حلب وحماة وادلب، بعد أن سمح لهم تنظيم الدولة بالعبور لمناطق الحر، يعانون من ظروف إنسانية صعبة في ظل قلة الدعم وعدم تدخل المنظمات الدولية، التي لم تتدخل حتى الأن، ولا حتى بذكر هؤلاء بتقاريرها، بينما يعاني من بقي في مناطق التنظيم أكثر، بسبب عدم وجود منظمات أهلية أو محلية مثل تلك التي في مناطق الجيش الحر.

«لتسقط زنوبيا وتسقط تدمر ويسقط العالم المتخاذل كله أمام كل قطرة دماء بريئة جرت في تدمر»، هكذا ختم الحاج أحمد حديثه ملخصاً بعضاً مما في قلبه عن حاله وحال أهالي المدينة المنكوبين.

شركاء في النقد والتنظير والسرقة

بشار فستق

في اليوم العالميّ للمسرح (27 آذار من كلّ عام) يلقون كلمة، ويتحدّثون عن أهمّيّة هذا الفنّ في استكمال بناء الحضارة الإنسانيّة وضرورة وجوده وأثره في تقدّم البشريّة، وربّما تُعرض مسرحيّة حُضّرت لهذه المناسبة؛ ثمّ يطوى المسرح مع نهاية تلك الساعات، وينتهي كلّ شيء، حتّى الأعمال المسرحيّة التي قُدّمت ضمن الاحتفاليّة لا يُعاد عرضها في باقي أيّام السنة، تغلق الصالات، ولا تفتح أبوابها إلّا للاجتماعات الحزبيّة أو للخطابات الوطنيّة والقوميّة.

يبحثون عن مناسبات ويخترعون احتفالات ليقيموا مهرجانات؛ يعلم السوريّون ماذا وراء هذه البهرجانات من سرقات للأموال وإلغاء لفعّاليّات مسرحيّة وثقافيّة حقيقيّة، بحجّة أنّه لا توجد مخصّصات ماليّة!

إلّا إذا أراد أحدهم أن يخترع اسماً آخر، أو يُدخل مديحاً جديداً للقائد ومنجزاته ومسيرته المظفّرة وتحديثاته وتطويراته، ويزيد صفة مقدّسة مبتكرة على ما سبق؛ عندها تهطل الميزانيّات وتُسيّل الأموال، ويتقاطر الفنّانون الوطنيّون الملتزمون ولو كانوا خارج الحدود لأنّ نداء الواجب دعاهم فلبّوا سيّد الوطن، ولا يقتصر الحضور على «الراسخون في التلفزيون» من أمثال دريد لحّام، بل تلبّي رغدا نعناعة من مصر النداء بلهفة مرتميّة على أقرب حذاء عسكريّ، لتدافع - بصدر عار - مع سلاف فواخرجي وسوزان ابنة نجم الدين الصالح وزهير عبد الكريم وغيرهم، عن سيّد وسيادة الوطن.

في حين، تمرّ الأعمال المسرحيّة الهامّة لفرق مغمورة هاوية عماليّة أو طلّابيّة - لو سمح بعرضها - دون إعلان صغير ملصق عنها، فيما صور القائد تطمس الجدران وتغطّي الأبنية، وما تبقّى من فسحة للعيون تجد فيها صور عاهر أو عاهرة نالوا موافقة الجهات المختصّة للترشّح إلى مجلس ما سمّي زوراً باسم الشعب، في أعراس المخابرات في مختلف المحافظات.

في مهرجان حمص المسرحيّ السادس عشر، كانت صور القائد (الخالد) منتشرة في كلّ مكان خارج وداخل مبنى دار الثقافة، لكنّ الفرقة المسرحيّة الآتية من محافظة أخرى للمشاركة فوجئت بأنّه لا توجد إضاءة فنّية في المسرح، وقال المسؤول عن المهرجان من قبل نقابة الفنّانين ومنظّمة الطلائع (الرفيق) برّي العواني للفرقة التي طالبت بإضاءة:

«دبّروا حالكم... يمكن إيجاد حلول إبداعيّة»، وأضاف (الفنّان) حسن عكلا الموظّف في المسرح القوميّ: «أنا بساعدكن».

ردّ عليهما أحد الممثّلين الشباب: ليش ما لقى إلّي أخذ الإضاءة شي حلّ إبداعيّ لنفسه، وترك البرجكتورات بالصالة بدل ما ياخدها؟!» وأمسك الهواء براحة كفّه ثمّ وضعها في جيبه، كإيماءة عن السرقة.

عندما وصل محاسب مديريّة المسارح والموسيقى من دمشق، ووجد نقصاً بأكثر من 80 جهاز إضاءة (بروجكتورات وسبوتات و..) من تجهيزات المسرح، صاح بأعلى صوته: «إذا بكرا ما بترجع كلّها وبتركّب... بدي جيب الجنائيّة يحطّوكن كلكن ع الفلقة، ومنشوف!».

أعيدت أجهزة الإضاءة بعد التهديد وتمّ تركيبها، فمن فكّها (سرقها موقّتاً) ثمّ أعادها هو ابن حسن عكلا، لكي يستثمرها في إقامة حفلات ونشاطات تسجّل فيها فواتير إضاءة كبيرة للطلائع والشبيبة برعاية برّي العواني؛ أعيدت إلى أماكنها لكن بعد انتهاء العرض الأخير.

وبعد أن نظّر المنظّرون حول إضاءة العرض، إذا يجب - حسب آرائهم - أن توضع إضاءة على طرفي الخشبة مثلاً، وأن تُفتح أخرى من الأعلى، وحتّى عكلا - الأب - تحدّث في النقاش الذي تلا العرض عن التفاني في سبيل الفنّ، أمّا العواني مبعوث النقابات والمنظّمات فدبّج مقالاً ذكر فيه أسماء رجال المسرح العالميّ الكبار في التاريخ، ليظّن القارئ بأنّ له علاقة حقيقيّة بالعمل المسرحيّ، وبأنّه ليس مفروضاً كرجل أمن أو تنفيعة أو تغطية، ونظّر عن كيفيّة الإعداد والإخراج الصحيحين.

لكنّ أغرب نقد في العالم واجه العرض المسرحيّ، جاء من مسؤول المسرح في اتّحاد الطلبة، حين بدأ بنقد العرض قبل أن يحضره! أي أنّه كان في الطريق إلى صالة المسرح، عندما بادر بمجموعة من الأسئلة لمن استقبله في مركز انطلاق الباصات، وكان يعترض على كلّ إجابة ترده على أساس أنّها خطأ مهما كانت، قائلاً بأنّ الصحيح هو العكس.

ولمّا وصل إلى الصالة، طرح نظريّة جديدة في الفنّ قائلاً بأنّ: الثلاث دقائق الأولى من العرض هي الحاسمة، فلو نجح العرض فيها بأن «يمسك» بالمتفرّج! لنجح العمل. ثمّ تحدّث عن أهمّيّة المهرجانات المسرحيّة، وأنّ العروض يمكن أن تتمّ في الممرّات، وأنّ على المسرحيّين عدم الالتفات إلى عدم وجود أيّة أجهزة للإضاءة؛ فعرف الجميع أنّه شريك اللصوص في النقد وفي «التمسّك» بالمهرجانات.

نازح من مدينة حلب برفقة طيوره

زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع